

خبير قمره جيمس غراي لصنّاع الأفلام الشباب: اعثروا على صوتكم ورؤيتكم الفنية وتحلّوا بالثقة

- المخرج وكاتب السيناريو المخضرم الذي شاركت معظم أعماله في مهرجان كان جيمس غراي يستعرض أبرز محطات مشواره السينمائي ويركز على أهمية الرؤى الشخصية والتعبير عن الذات من خلال السينما

الدوحة، قطر، 17 مارس 2021: تُعد مسيرة المخرج الكبير وخبير قمره جيمس غراي نموذجاً حياً وعملياً على نصائحه التي يقدّمها لصنّاع الأفلام الشباب، إذ لا يكتفي بسردها بل يطبقها فعلياً في أعماله الفنية التي حصّدت الإشادة ومنها "الأوديسة الصغيرة" و"المهاجر" و"آد أسترا". وعلى مدار هذا المشوار، استطاع غراي أن يصنع بصمة مميزة ومتميّزة في عالم السينما ولم يضع في حسابه إيرادات شبك التذاكر أو الربح، بل ركز في المقام الأول على صناعة الأفلام التي تحمل له قيمة كبيرة على المستوى الشخصي.

عُقدت الندوة - والتي تحدّث فيها غراي - عبر الإنترنت ضمن فعاليات قمره 2021، الملتقى السنوي الذي تعقده مؤسسة الدوحة للأفلام لاحتضان المواهب السينمائية العربية، واختتم غراي الندوة بنصيحة وجهها لصنّاع الأفلام: "تحلّوا بالثقة فيما تقدّموه من أعمال، إذ ستقابلون من هم مستعدون للتشكيك في عملكم. ستستغرق عملية بحثكم وعثوركم على صوتكم ورؤيتكم كصنّاع أفلام لبعض الوقت، لكن عليكم ألا تحاولوا أن تصبحوا نسخة من شخص آخر، فلا أحد يشبهكم وإذا تحلّيتم بالصدق تجاه خبراتكم وتجاربكم، فإن أعمالهم ستلمس وجدان المشاهدين".

كانت رحلة جيمس غراي لإيجاد صوته طويلة وليست وليدة اللحظة، إذ لم يستطع الحصول على حرية إبداعية كاملة إلا مع فيلمه الرابع "عاشقان"، حسبما صرّح في حديثه مع مدير الندوة ريتشارد بنيا، مدير البرامج بجمعية الفيلم في مركز لينكولن ومدير مهرجان نيويورك السينمائي في الفترة من 1988 وحتى 2012.

لكن العهد الذي قطعه غراي على نفسه والذي أوفى به على مدار مسيرته - التي أخرج خلالها سبعة أفلام بدءاً من فيلم "الأوديسة الصغيرة" عام 1994 ووصولاً إلى عام 2019 مع فيلم "آد أسترا" - فقد تمثّل في صناعة أفلام تحمل دلالات ومعانٍ ورسائل شخصية. وأضاف غراي أن المعدّل السنوي لأعمال أي مخرج لا تعني بالضرورة أن كل أعماله من الطراز الرفيع، قائلاً: "إذا نظرتم إلى بعض صنّاع الأفلام الذين حازوا على إعجاب الناس، والذين اعتمدوا على تمويل الاستوديوهات السينمائية الكبرى لصناعة أفلامهم، يبقى السؤال هو: كم من أفلامهم يُمكن اعتبارها حقاً أعمالاً عظيمة؟" ووجّه غراي نصيحة لصنّاع الأفلام الذين حضروا الندوة بالابتعاد عن صناعة الأفلام بدوافع مادية، وإنما تقديم أعمال تعكس أصواتهم رؤاهم بغض النظر عما إذا كانت هذه الأعمال جيدة أم سيئة، مضيفاً: "أفضّل أن أقدم نفسي وأن أكون مسؤولاً عن جميع العيوب والأخطاء [في الفيلم الذي أقدمه]".

وقدّم غراي نصيحة ثمينة للتعامل مع الممثلين: "إخراج الممثل هي عملية "سياسية" بطريقة أو بأخرى. فأنت ملزم بأن تغمره بالحب وبرأيي أن تشعره بأنه لا وجود للقرارات الخاطئة، فإذا كان قد تفاعل وتوحد مع شخصيته المكتوبة في النص، فكل شيء يفعل في هذه الحالة صائبٌ وصحيح".

على مدار مشواره الفني الحافل، عمل غراي مع ممثلين مخضرمين كان منهم تيم روث وفانيسا ريدغريف خلال صنّاعته لأول أعماله وعمره لم يتجاوز 23 عاماً، وقد كانت قدرته على استثارة أفضل ما يملكه الممثل نتاج عملية تعلّم مستمرة. ولكن في المقابل، شكّل غراي جزءاً وثيراً من ثقافته السينمائية من القراءة والمطالعة ومشاهدة الأفلام وليس فقد الدراسة السينمائية الجامعية على حد تعبيره: "وضعت لنفسي هدفاً بالخروج من المرحلة الجامعية وقد اكتسبت تخصصين مختلفين: إنتاج الأفلام بكل ما فيه من تفاصيل دقيقة، والدراسات النقدية في السينما والأدب، وكان ذلك بمشاهدة الأفلام وقراءة كل شيء، وهو ما فتح لي نافذة قيّمة جداً على العالم من حولي. وأعتبر نفسي منحازاً للدراسة الجامعية [دراسة السينما الأكاديمية]، ولكنني أرى أن تعلّم التفاصيل التقنية في صناعة الأفلام ليست بنفس القدر من الأهمية [مقارنةً بالقراءة ومشاهدة الأفلام]".

وأكد غراي أنه كان محظوظاً بنجاحه بصناعة فيلمه الأول بميزانية منخفضة "في وقت كنت تشعر فيه أن هناك سيولة مالية كبيرة في هوليوود". كما أضفت مشاركة ممثلين من أمثال تيم روث وفانيسا ريدغريف روحاً خاصّةً للفيلم. ويرى غراي أيضاً أن الفيلم قد غير واقعه بالكامل، على الرغم من أنه لم يحصل على أي مبالغ مالية من عمله فيه، وعن ذلك قال: "كنت أصوّر الفيلم وفي قلبي أشعر بأنني أعظم مخرج في التاريخ، ولكن عندما رأيت النسخة الممنّجة من الفيلم شعرت أنني أشاهد أسوأ فيلم في حياتي. أدركت حينئذ أن مفتاح كل

مشهد هو السياق، فالمشهد الذي تقضي 20 دقيقة فقط لتصويره هو الأهم [وليس المشهد الذي تخططه حتى أصغر التفاصيل]. وقد تعلّمت مدى صعوبة سرد قصة عاطفية بصورة فنية سامية وجُرح كبريائي في تلك التجربة جرحاً لم يُشفى منه تماماً حتى اليوم. "وقد عاد غراي وقتها إلى غرفة المونتاج لصقل الفيلم الذي فاز لاحقاً بجائزة الأسد الفضي في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي.

تطرق غراي أيضاً إلى الأماكن وديكور مكان التصوير، ونصح صناع الأفلام الشباب أن يرگزوا "حتى درجة الهوس على التفاصيل التاريخية للمكان." وأضاف أن ذلك ينطبق أيضاً على صياغة الشخصيات مشدداً أن "تاريخ الشخصية مهمٌ أيضاً." يحاول غراي أن يفهم خلفية الممثلين الذين يعمل معهم ورصيدهم من التدريب الذي حصلوا عليه والذي يريدون اكتسابه. وعن ذلك قال: "وظيفتي هي أن أساعدهم على اكتساب أكبر قدر ممكن من الثقة. حاول أن تُدرك كيف يمكنك فهم الممثل من أعماقه وكيفية دعمه قلباً وقالباً بدلاً من أن تقلق بشأن تواجده في موقع التصوير. تعلّم العملية التي يمرّ بها الممثل، وتذكر دائماً أن كل ممثل يجب عليه الاستماع للممثل الآخر في المشهد."

واقتبس غراي الروائي الشهير غابرييل ماركيز أثناء حديثه عن خصوصية فن سرد القصص، مؤكداً أن الشخصيات والأماكن "مفتاحان لتجسيد سرالية اللحظة بصورة صادقة، إذ تسمح الخصوصية بصناعة لحظات روائية ذات مصداقية مزدهرة." وشدّد غراي على الحاجة "للصرامة والاجتهاد المستمر المتكرّر في السينما، وهو أمرٌ لا ينال حقّه من التقدير، مقارنة بفكرة العبقرية التي يبالغ الناس في تويرها. إذ أن السينما لم تقم بهذه الطريقة. فكل صناع الأفلام الذين نحبّهم يعتمدون على الآخرين. وهذا التعاون هو كل شيء، ولا بد عليك أن تُنصت جيداً لمن هم حولك."

وعن إمكانية تقديمه لمسلسل تلفزيوني، قال غراي: "الأمر يختلف، لأن خبرتي تكمن في صناعة عمل يتراوح بين ساعتين إلى ثلاث ساعات، والمسلسل الذي يدوم 8-10 ساعات هو في النهاية وسط مختلف تماماً عن السينما. ولدي تساؤلاتي عن هذا الجانب. إن أكثر ما أحبّه في السينما هو أنها هذه الأداة المؤثرة والقوية التي تستطيع أن تدمرك أو تحرك. السينما أمر أقرب للحلم المُنهمل الذي لا تستطيع إيقافه أو تجزئته [على العكس من المسلسل الذي يمكنك مشاهدته على هيئة حلقات]."

يمكن للجمهور المشاركة في فعاليات قمره عبر الإنترنت من خلال شراء بطاقة قمره التي تتيح لهم فرصة حضور عروض أفلام قمره وجلساته الحوارية. ويمكن للمواطنين والمقيمين في قطر ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتمنح أولوية قبول الطلبات لمن قدّمها أولاً. يصل سعر بطاقة قمره إلى 500 ريال قطري، بينما يمكن للطلاب وحاملي بطاقتك إلى الثقافة من هيئة متاحف قطر شراء بطاقة قمره بسعر مخفض يبلغ 350 ريال قطري.

انتهى-

مؤسسة الدوحة للأفلام

مؤسسة الدوحة للأفلام هي مؤسسة ثقافية مستقلة غير ربحية تدعم تطور صناعة الأفلام في قطر من خلال نشر ثقافة تقدير السينما وتعزيز المعرفة بصناعة الأفلام إضافة إلى المشاركة في تطوير صناعات إبداعية مستدامة. تشمل منصات المؤسسة تمويل وإنتاج الأفلام المحلية والإقليمية والدولية، وبرامج تبادل المهارات، والإرشاد والتوجيه وعروض الأفلام، إضافة إلى مهرجان أجيال السينمائي وملتقى قمره. وتلتزم المؤسسة بدعم وتحقيق أهداف رؤية قطر الوطنية 2030 في بناء اقتصاد قائم على المعرفة من خلال أنشطتها وفعاليتها التي تهدف إلى دعم تنمية الثقافة والمجتمع والترفيه.

قمره

تتم دعوة مخرجين ومنتجين يعملون على مشاريع في مراحل التطوير وما بعد الإنتاج للمشاركة في هذا الملتقى. ويضم هؤلاء صناع أفلام صاعدين من قطر وأيضاً المستفيدين من دعم برنامج المنح التابع لمؤسسة الدوحة للأفلام. يتضمّن برنامج الملتقى المميّز جلسات الهدف منها الدفع بالمشاريع إلى المراحل القادمة من عملية تطويرها، ويشمل ذلك ندوات يُعطيها خبراء قمره، وعروض لأعمال قيد التحضير، وجلسات مخصصة للوصل بين المواهب الصاعدة والخبراء، وورش عمل متخصصة يديرها خبراء في العمل السينمائي. ويجري هذا التبادل المعرفي بالتوازي مع عروض سينمائية للجمهور اختارها بعناية خبراء قمره السينمائيين.

يجري تنظيم الحدث على ثلاثة مستويات تشمل ندوات قمره السينمائية، وهي جلسات يومية يُدير كل واحدة منها خبير من خبراء قمره، ويُنّاح لصانعي الأفلام المشاركين حضور الندوات، كما يستطيع حضورها ضيوف سينمائيين معتمدين بصفة مراقبين. وهناك لقاءات قمره، وهي سلسلة من اللقاءات المباشرة وورش العمل وجلسات توجيه تجمع ممثلين عن مشاريع مختارة بالخبراء في العمل السينمائي. وأخيراً عروض قمره المتاحة للجمهور التي يُعرض فيها مشاريع نالت تمويلًا من مؤسسة الدوحة للأفلام من خلال منح المؤسسة أو مبادرات التمويل المشترك، إلى جانب مجموعة من الأفلام اختارها خبراء قمره السينمائيين، ويتلو العرض جلسات نقاشية للإجابة على أسئلة الحضور.

كلمة "قمره" باللغة العربية هي أصل "كاميرا" وقد استخدمها قديماً عالم الفلك والرياضيات العربي "الحسن بن الهيثم" الذي توفي عام 1040 ميلادية، والذي أرسى عمله في البصريات مبادئ عمل كاميرا التصوير.